الحكايات قد تنجي البشر من الموت

تودوروف يحلل بنيويا ألف ليلة وليلة

لم ينل أثر أدبي الاهتمام الذي ناله كتاب "ألف ليلة وليلة" من الإرث السردي العربي، حيث ما زال النقاد يكتشفون في حكايات الكتاب السردي الأشهر عالميا أساليب جديدة في كل مرة، وقد تناول حكايات شهرزاد الناقد والمفكر الفرنسي ومن أصل بلغاري تزفيتان تودوروف حيث قام بتحليله بنيويا.

عواد علي
كاتب عراقي

في تصنيفه للشخصيات الروائية إلى نمطين، من حيث علاقتها بالحبكة، يرى الروائي الأميركي هنري جيمس في مقال شهير له بعنوان "فن الرواية"، أن ثمة نمطا يخضع فيه الفعل أو الحبكة للشخصية، وأن كل قصة أو رواية هي وصف لسمات شخصية. وإذا كان الاثنان مرتبطين دائما فإن الشخصية، رغم ذلك، أكثر أهمية من الفعل، وهذا يعني السايكولوجيا، أو أن غاية السرد إبراز خصائص الشخصية، فكل محكي هو "وصف للطباع".

لكن الناقد تزفيتان تودوروف يرفض ذلك في كتابه "مفهوم الأدب"، مستندا إلى وجود تقاليد سردية لا تكون فيها الأفعال في خدمة إبراز الشخصية، بل إن الشخصيات تكون خاضعة للفعل، وهي تعني شيئا آخر غير الترابط النفسي، أو وصف السمات الشخصية. ومن أمثلة تلك التقاليد "الأوديسة" لهوميروس، و"الديكامرون" لبوكاتشيو، و"ألف ليلة وليلة"، التي يغيب فيها التحليل الداخلي للشخصيات، أو وصف حالاتها النفسية.

أهمية الشخصيات

في ألف ليلة وليلة، يجد تودوروف أن أول تعارض يقوم بين القصة التي أطّرها جيمس وحكايات الليالي هو ما يبدو له على النحو الآتي: إذا كانت ثمة جملة في السرد تشير إلى أن "ك يرى ل" فإن الأهمية التي يوليها جيمس تكون لـ"ك"، في حين أن "ل" هي التي تأخذ الأهمية بالنسبة لشهرزاد، فالقصة النفسية تعتبر كل فعل طريقا يفضي إلى شخصية القائم به، لأنه تعبير عنه، وإن لم يكن هو كذلك فإنه عرض من أعراضه، ولذا لا يُعدّ الفعل لذاته، بل في تعديه إلى موضوعه.

> الشخصية في ألف ليلة وليلة هي الحكاية المحتملة، إنها حكاية الشخصية، وكل شخصية جديدة تعني عقدة جديدة

أما حكايات ألف ليلة وليلة فهي، على العكس من ذلك، إذ إن أفعالها غير المتعدية هي التي تجليها: فالحدث يقتضي نفسه، ولا يقتضيه غيره ليكون أثرا دالا على هذه السمة الشخصية أو تلك. ولذا فإن تودوروف يعدّ ألف ليلة وليلة من "الأدب الإسنادي"، فالتركيز فيها يكون دائما على المسند، وليس على المسند إليه في الجملة، ويرى أن المثل المشهور على اختفاء المسند إليه قاعديا تعبّر عنه حكايات السندباد البحري، إذ أنها، رغم كونها تروى على لسان الشخص الأول، تبقى غير شخصية (مبنية للمجهول)، ويكون التسجيل بموجب هذا ليس "ك يرى ل"، بل إن "ل يُرى".

ويلاحظ تودوروف، في السياق نفسه، أن الشخصية في ألف ليلة وليلة هي الحكاية المحتملة، إنها حكاية الشخصية، وإن كل شخصية جديدة تعني عقدة جديدة، ويصف ذلك بـ"مملكة البشر – الحكايات"، فما إن تظهر شخصية جديدة حتى تنقطع الحكاية السابقة لتبدأ حكاية أخرى تتلى علينا. وهكذا تشتمل الحكاية الأولى على الثانية. وهذه الطريقة تسمى "التضمين".

لكن تودوروف يستدرك فيقول إن هذا ليس هو المسوّغ الوحيد للتضمين، بل ثمة مسوّغات أخرى، ففي "الصياد والجني" تؤدي الحكايات التضمينية دورا برهانيا، الصياد يتخذ من حكاية "دوبان" عذرا يسوّغ فيه قلة عطفه على الجني. ويدافع الملك في هذه الحكاية عن موقعه عبر موقف الرجل الغيور وأنثى الببغاء. كما يدافع الوزير عن أقربائه بدفاع الأميرة والغول.

وفي حكاية "الأختان الغيورتان من أختهما الصغرى" يكون التعاقب الزمني هو التعليل الوحيد للتضمين، لكن وجود البشر – الحكايات هو الشكل الأكثر إدهاشا للتضمين من وجهة نظر تودوروف، فثمة حكايات في ألف ليلة وليلة تبعث على الدوار، مثل حكاية "الصندوق الدامي" التي تضرب الرقم القياسي في التضمين "شهرزاد تحكي أن... جعفر يحكي أن... الخياط يحكي أن... الحلاق يحكي أن... أخاه 'وهم ستة'...". وتُعدّ الحكاية الأخيرة من الدرجة الخامسة. وتصل طريقة التضمين إلى ذروتها مع التضمين الذاتي، أي عندما تجد الحكاية المتضمنة نفسها وقد تضمنت ذاتها في الدرجة الخامسة أو السادسة.

الحكاية الناقصة

يربط تودوروف بين استمرار رواية الحكايات وتعددها، في ألف ليلة وليلة، وبقاء الرواة على قيد الحياة "فروى يساوي عاش"، والمثل الأكثر بداهة هنا هو شهرزاد نفسها، التي تعيش فقط ما دامت تستطيع أن تتابع الحكي، وإذا ما توقفت فإن مصيرها الموت على يد شهريار.

ويتكرر هذا الموقف في داخل الحكايات، فالدرويش استحق غضب العفريت، لكنه حظي بعفوه لأنه حكى له قصة "الحمال والنساء"، وكذلك الحال بالنسبة للعبد الذي ارتكب جريمة، فلكي ينجو بحياته فإن سيده لا يترك له إلا حظا واحدا "إذا رويت لي حكاية أكثر إدهاشا من هذه، فسأعفو عن عبدك، وإلا فسأعطي الأمر بقتله"، هذا ما يقوله الخليفة.

وثمة أربعة أشخاص اتّهموا بقتل أحدب، فوعدهم الملك بأن يصفح عنهم إذا كانت حكاية الثاني أكثر إدهاشا من حكاية الأول. وحين وجدها ليست كذلك "أجاب: يجب أن أنفذ حكم الإعدام فيكم أنتم الأربعة".

ويستنتج تودوروف من المثل الأخير أن غياب الحكاية ليس هو الوجه المعاكس الوحيد للمعادلة: حكاية – حياة، بل إن الحكاية الناقصة تساوي الموت أيضا. وكذلك تعرّض الرغبة في سماع حكاية المرء إلى مخاطر قاتلة، فإذا كانت الثرثرة تنجي من الموت فإن الفضول يؤدي إليه كما في حكاية "الحمال والنساء".

وأخيرا يقف تودوروف على خاصية بنيوية أخرى في ألف ليلة وليلة تتمثّل في حاجة الحكاية المتضمنة إلى أن يعاد أخذها في حكاية أخرى لأنها لا تكتفي بذاتها، بل تحتاج إلى تطويل، وإلى إطار تصبح فيه جزءا بسيطا من حكاية أخرى، وكأنها تمتلك شيئا تتمه، أو فائضا، أو ملحقا يبقى خارج الشكل المغلق الذي ينتجة تطور العقدة.

وتأخذ هذه التتمة عدة أشكال، أكثرها شيوعا هو البرهان والحجة، كما في حكاية الملك الجاحد الذي أهلك الطبيب دوبان، بعد أن أنقذ هذا حياته، فهي تحتوي على شيء أكثر من هذه الحكاية نفسها. وبسبب ذلك فإن الصياد يرويها.

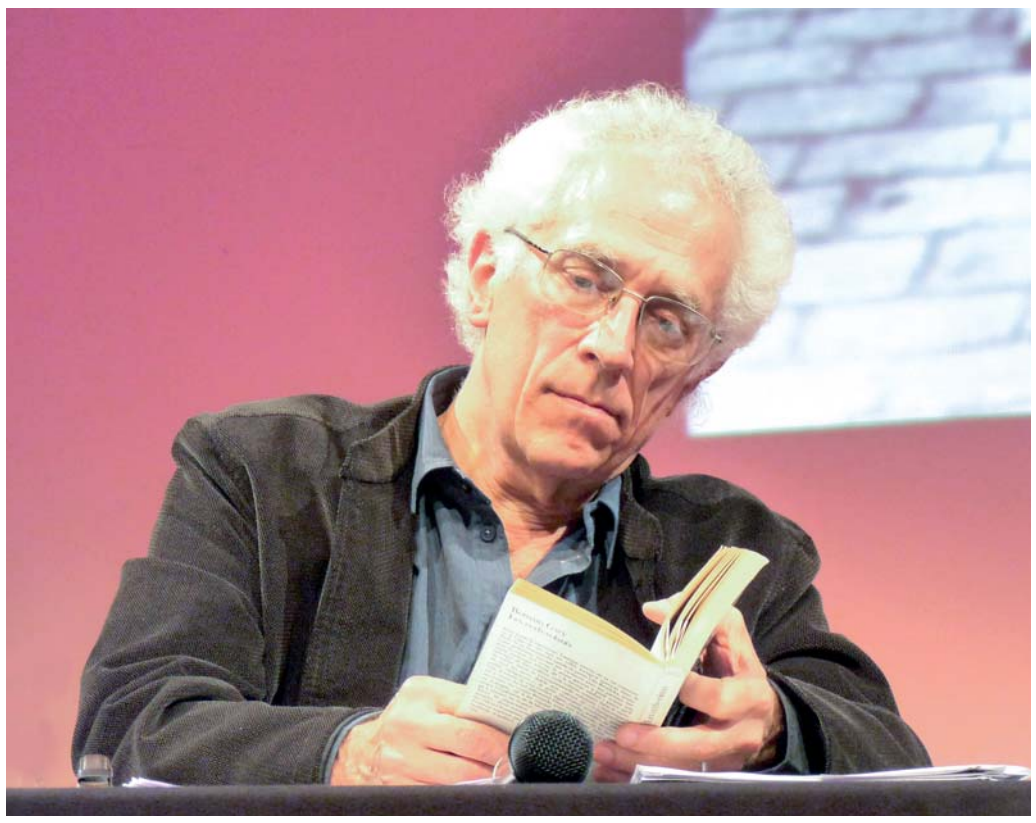

تزفيتان تودوروف: مملكة البشر الحكايات

مهرجان صيف البحرين يستضيف فنونا من العالم

المنامة – يواصل مهرجان صيف البحرين في نسخته الثانية عشرة "أقرب عن بعد" إثراء الأجواء الثقافية في مملكة البحرين بأنشطة متنوعة يقدّمها عبر الفضاء الإلكتروني، حيث سيكون الجمهور على موعد مع عروض فنية عالمية، وورش عمل وجولات وغيرها الكثير.

وبدأت العروض الفنية التي يتم بثّها عبر الإنترنت الأحد الموافق لـ16 أغسطس مع ثلاثة عروض متتالية بداية بعرض "فرقة الفنون الشعبية الفلسطينية" الذي تم بثه بالتعاون مع السفارة الفلسطينية، وتمزج خلاله الفرقة ما بين الرقص المستوحى من الفلكلور الفلسطيني الأصيل وأنماط الرقص الحديث.

أما ثاني العروض فقدّمته فرقة "التخت" بالتعاون مع السفارة الكويتية، لتطرب المشاهدين بمقاطع موسيقية وغنائية من الفلكلور الخليجي كالصوت والسامري والقادري واليماني والعدني وغيرها. واختتمت الفرقة الموسيقية للشرطة، بالتعاون مع وزارة الداخلية، آخر عروض يوم 16 أغسطس، حيث قدمت ألوانا موسيقية متنوعة تمزج ما بين الموسيقى العسكرية والموسيقى التراثية البحرينية الأصيلة.

وبالتعاون مع السفارة المغربية، يبث مهرجان صيف البحرين اليوم الاثنين 17 أغسطس عرض الفلكلور المغربي "الدقّة المراكشية"، حيث تقدّم هذا العرض مجموعة من الفرق الفلكلورية الشعبية. ويوم 19 أغسطس تقوم فرقة "فوكال تراش" بتقديم عرض مميز يسلط الضوء على الاستدامة البيئية والتوعية المجتمعية ببعض القضايا الاجتماعية، ويأتي هذا العرض بالتعاون مع السفارة الأميركية لدى المملكة. وختام عروض الأسبوع الثالث لمهرجان صيف البحرين سيكون يوم 21 أغسطس مع مسرحية "غراب أبيض" بالتعاون مع السفارة الأردنية لدى البحرين، حيث تقدّم المسرحية فكرة مغايرة فلسفية حول الخير والشر.

> الأسبوع الثالث لمهرجان صيف البحرين يتميز بورش عمل متعددة وعروض من المغرب والكويت وأميركا وغيرها

ويتميز الأسبوع الثالث لمهرجان صيف البحرين بورش عمل متعددة تبدأ مع ورشة عمل غنائية بعنوان "فوكال تراش"، إذ تهدف الورشة إلى نشر الوعي الاجتماعي حول السلام والقضايا البيئية لتمكين الأطفال من إحداث تغيير إيجابي عبر الفن. وبالتعاون مع السفارة التركية لدى البحرين سيتم يوم 17 أغسطس بث ورشة عمل حول صناعة الخزف الصيني، حيث تعتبر صناعة الخزف صناعة عريقة ما زالت حية في تركيا.

ويوم 18 أغسطس تُبث ورشتان، الأولى حول "فن طباعة المونوبرنت" والتي تتيح للمشاركين تعلم تقنيات الطباعة باستخدام ألوان مختلفة وابتكار رسومات متنوعة، والثانية ورشة عمل "فوكال تراش" التي ستشجع الأطفال على استخدام العلب المعدنية والبراميل البلاستيكية وزجاجات المياه لصناعة طبول مختلفة.

وتُبث يوم 19 أغسطس ورشة عمل "العلوم الخارقة" لتعليم الأطفال كيفية ابتكار تجارب علمية، وورشة عمل "الابتكارات العجيبة" التي تستخدم الفيزياء لصناعة مشاريع هندسية في المنزل.

ويشهد يوم 20 أغسطس بث جولة مع شخصيات مهرجان صيف البحرين "نخول ونخولة" في قلعة بوماهر ومركز زوار مسار اللؤلؤ. ويوم 21 أغسطس سيتم بث فعاليتين لسرد القصص، الأولى بعنوان "مسعودة السلحفاة" والثانية بعنوان "غيرتي العابس". وفي مجال أنشطة الطبخ المباشرة، سيكون أصدقاء مهرجان صيف البحرين على موعد يوم 22 أغسطس مع الشيف سارة الكوهجي لتعلم صناعة "بيتزا بسكويت الشوكولاتة".

وتتواصل الأنشطة الرياضية ضمن المهرجان، فيوم 22 أغسطس سيتم بث نشاط "اللياقة مع يوهان"، حيث سيقوم المدرب يوهان إستيهويزين بتعليم المشاركين مجموعة من التقنيات الصحيحة للحركة، بالإضافة إلى تقديم برنامج لياقة قصير مناسب للأطفال والكبار على حد سواء.

احتفاء بالتراث الموسيقي

تأجيل الدورة الـ8 من مهرجان «الشارقة السينمائي»

الشارقة – أعلنت مؤسسة "فنّ" المعنية بتعزيز ودعم الفن الإعلامي للأطفال والناشئة في الإمارات، عن تأجيل الدورة الثامنة من مهرجان الشارقة السينمائي الدولي للأطفال والشباب حتى أكتوبر من العام المقبل 2021، نظرا إلى الظروف الاستثنائية التي فرضها انتشار فايروس كورونا المستجد حول العالم، واستجابة للإجراءات الوقائية التي اتخذتها مختلف الدول للحيلولة دون انتشاره.

وتسعى المؤسسة من خلال المهرجان الذي انطلقت أولى دوراته في العام 2013 إلى الارتقاء بذائقة الأطفال والشباب وقيادتهم نحو اكتساب المهارات العلمية والتقنية والتعرّف على آخر ما توصلّت إليه صناعة الأفلام من خلال إطلاعهم على خبرات وتجارب أبرز المخرجين والمؤلفين والممثلين العالميين، ودعمهم بأحدث الأعمال السينمائية الموجهة لتكون لديهم القدرة في المستقبل على الارتقاء بهذه الصناعة الإبداعية عربيا.

وحول هذا الإعلان أكدت الشيخة جواهر بنت عبدالله القاسمي، مديرة مؤسسة فنّ، مديرة مهرجان الشارقة السينمائي الدولي للأطفال والشباب، أن السينما وعلى مرّ التاريخ استطاعت بما تمتلكه من فنون وإبداعات أن تتجاوز جميع الظروف التي مرّت على الإنسانية وساهمت في غرس الأمل والتفاؤل في نفوس الشعوب ودفعتها نحو تجاوز كلّ الصعاب والمحن، لافتة إلى أن الفنّ كان وما زال عاملا تنمويا مهما يخدم الارتقاء بحاضر ومستقبل الأجيال.

وقالت مديرة مهرجان الشارقة السينمائي الدولي للأطفال والشباب "في الوقت الذي نحرص فيه على غرس الثقافة الإبداعية والسينمائية في نفوس الأجيال الجديدة نؤكد سعينا من أجل توفير بيئة آمنة وصحية لهذه الفئة المهمة من المجتمع، ونظرا إلى الظروف الاستثنائية التي يمرّ بها العالم ودولتنا جراء انتشار فايروس كورونا المستجد قرّرنا تأجيل فعاليات الدورة الثامنة من الحدث الذي أردنا له أن يكون منطلقا لطاقات وإبداعات الأطفال والشباب نحو تبنّي الثقافة السينمائية النبيلة لنبقيهم بمعزل عن أي مخاطر يمكن أن تلحق بهم".

مهرجان الشارقة السينمائي الدولي للأطفال والشباب
Sharjah International Film Festival for Children and Youth

> المهرجان يهدف إلى الارتقاء بذائقة الأطفال والشباب وتعليمهم المهارات اللازمة لصناعة الأفلام

وتابعت الشيخة جواهر بنت عبدالله القاسمي "هذا الإعلان يستجيب للإجراءات الاحترازية التي اتخذتها دولة الإمارات للحيلولة دون انتشار هذا الفايروس، ونأمل أن نجتمع العام المقبل لنكمل مشوار هذا الحدث ونثري ذائقة وخيال الأجيال الجديدة بالكثير من الجمال الإبداعي والبصري".